السياق الموضوعي هذه المرة مغاير تمامًا.

فبعد مجموعة من الآيات تسرد معاناة نوح عليه السلام في دعوة قومه، انتقل الحديث إلى لسانه وهو يذكر جوانب من البيان الذي بينه لقومه ولم يستجيبوا له. وجاء لفظ الرجاء هنا جزءًا من هذا البيان. يحيط به الحديث عن نعم الله وقدرته قبل اللفظ وبعده. فهو سياق جديد علينا تمامًا مع هذا التركيب ﴿لا يرجون﴾ وعلى حين دلنا نوع المفعول أو دلتنا طبيعته على معنى اللفظ في آيات سابقة، فالمفعول هنا لا يزيد الأمر إلا تعقيدًا.

﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا﴾.

كيف يرجى الوقار؟ وهو أمرٌ يوجد في الآخرين، صفةً في شخصياتهم وليس فعلاً أو حدثًا، فكيف تأتّى لهذه الصفة في هذا السياق أن تكون مفعولاً لفعل الرجاء، الذي له معنيان: الرغبة أو الأمل والتوقع في السياق المثبت، وعدمه (في السياق المنفي) قد يعني عدم الخوف.

الوقار صفة لا تبعث الخوف في نفوس الناس وفي الوقت نفسه ليست مطمعًا من مطامع البشر والسياق الموضوعي الواقع فيه التركيب لا يساعدنا أن نميل إلى أحد المعنيين، فما من سياقات مشابهة ورد فيها التركيب تؤازره فتلقي لنا ضوءًا على تفسيره، وما من مؤشرات لفظية تبين لنا شيئًا من أمره، اللهم إلا لفظ ﴿استكبروا﴾ (الآية ٧) الذي لا يتصل صلة قريبة بجملة الرجاء هذه المرة، فلا يعيننا كثيرًا على كل حال.

وقد وقع المفسرون بإزاء هذه الآية في حيرة مشابهة [١] يقول أبو حيان[٢]: «لا ترجون: لا تخافون، قالوا: والوقار بمعنى العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف».

والحق أننا لا نرى للوعيد والتخويف مكانًا هنا، فآيات الله المذكورة لم يختر منها ما يمكن استنباط معاني الوعيد منه، بل على العكس من ذلك، كلها آيات الرحمة والعطاء الممتد ﴿يرسل السماء عليكم مدرارًا. ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا﴾[٣].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، ج ٤، ص ٦١٧، المحرر الوجيز لابن عطية ج ١٦، ص ١٢٤ ومفردات الراغب، ص ٣٤٦.

(٢) البحر المحيط، ج١٠ ـ ص ٢٨٢.

(٣) نوح: ١١ ـ ١٢.